

## الحلقة الثانية

## مواضيع عملية

## برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا قد تحدثنا في اللقاء الماضي عن موضوع العنف في عالمنا. وسنتابع الحديث اليوم عن هذا الموضوع لكن من زاوية أخرى.

فتحت عنوان لماذا يحب الإنسان الانتقام، أشارت نتائج دراسة جديدة أجريت في سويسرا على المخ، أن الانتقام والتأنيب القاسي والشماتة في متاعب الغرماء تجعل الإنسان يشعر بالارتياح. كما تكشف الدراسة السويسرية التي أجريت على المخ، سبب شعور الإنسان بالرضا عندما يلقن الغرباء درساً، إذا اقترفوا تصرفاً سيئاً. وهو ما يأتي في إطار مجال جديد يبرز سريعاً، يعرف باسم "اقتصاديات المخ والأعصاب".

وأجرى باحثان من جامعة زيوريخ مسحا لأنشطة المخ لدى متطوعين من الذكور شاركوا في لعبة لتداول الأموال. إذا أقدم أحد اللاعبين على اختيار أناني، بدلا من اختيار يحقق الصالح المشترك. عندها يقدم اللاعب الآخر على عقابه. واختار معظم اللاعبين خيار العقوبة حتى ولو كلفتهم بعض أموالهم. وحدد الباحثون أن قرار فرض العقوبة أدى إلى نشاط في إحدى مناطق المخ المسؤولة عن الشعور بالارتياح والرضا. كما اكتشف الفريق أن الذين نشطت لديهم تلك المنطقة بالمخ بدرجة أكبر وهو ما قيس بزيادة معدلات تدفق الدم إليها فرضوا عقوبات أشد. وقال أحد الباحثين: تشير نتائجنا إلى أن توقع الشعور بالارتياح والرضا يدفعان الإنسان إلى فرض العقوبة على سلوك غير مرض.

اكتشف الباحثون إذن أن حب الانتقام هو من طبيعة الإنسان، لا بل يجعله يشعر بالارتياح والرضا عندما يقوم به. وهذا ليس بالأمر الغريب، فقد أخبرتنا كلمة الله ومنذ آلاف السنين أن طبيعة الإنسان قد أصبحت فاسدة، وذلك بعد أن سقط أبوانا الأولان في الخطيئة. لكن هل هذا هو ما يريده الله الخالق منّا أن نستمر في العبودية لهذه الطبيعة الفاسدة؟ وأن نظل أسرى لكل ما ينتج عنها من مظاهر غير سليمة؟ وماذا تخبرنا كلمة الله في هذا المجال؟ وهل تدعوننا لكي ننتقم لأنفسنا؟

اسمع صديقي ماذا كتب الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل وبوحي من روح الله القدوس إلى المؤمنين في مدينة رومية أو روما: "لا تجازوا أحداً عن شر بشر. معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس. إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس. لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل اعطوا مكاناً للغضب. لأنه مكتوب لي النعمة أنا أجازي يقول الرب. فإن جاع عدوك فأطعمه. وإن عطش فاسقه. لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه. لا يغلبك الشر بل اغلب الشر بالخير." (رومية ١٢: ١٧-٢١)

حقاً يا لها من آيات بليغة، وحكم سامية، تدعو الإنسان لكي يرتفع فوق الأحقاد والأنانيات، ويتعامل تجاه الآخرين حتى الذين أساءوا إليه بلغة المحبة. فهل هناك أسمى من هذه الحكم؟ وهل هناك أعمق منها؟

دعنا نتأمل قليلاً بما كتبه الرسول بولس. فلقد دعانا أولاً لكي لا نجازي أحداً عن شر بشر. وتعبير آخر أن لا نلجأ للانتقام من الشخص الذي يسيء إلينا. أي تماماً على عكس طبيعتنا البشرية وما اكتشفه الباحثون. إن طبيعتنا البشرية تسعى للانتقام وتُسرب، كما لاحظنا. لهذا فإنه ليس أمراً سهلاً أن نسير عكس هذه الطبيعة ونحاول لجمها. إذ أن هذا في حد ذاته سيسبب لنا ألماً في الداخل. فعلى أي أساس دعانا الرسول بولس لكي لا ننتقم لأنفسنا؟

علينا أن نوضح أن الرسول بولس هنا يتحدث إلى المؤمنين في المسيح. أي إلى الناس الذين تابوا عن خطاياهم، واختبروا غفران الله، وحصلوا بالتالي على الطبيعة الروحية الجديدة، وصاروا من أولاد الله. ورغم ذلك فإن هؤلاء المؤمنين في المسيح لن يكون أمراً سهلاً بالنسبة لهم أن لا ينتقموا لمن يسيء إليهم. إذ أن الطبيعة البشرية القديمة مازالت فيهم ولم تمت. لهذا دعاهم الرسول بولس لكي ينظروا للأمر نظرة مختلفة. فأوضح لهم أنهم بكونهم أولاداً لله، فإن الله هو الذي سيأخذ الموضوع على عاتقه عوضاً عنهم. أي أن الأمر لم يعد متعلقاً بهم، وهذا بحد ذاته لا بد أن يعطي المؤمن بالمسيح راحة واطمئنان.

قال الرسول بولس في هذا المجال كما سمعنا قبل قليل: " لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل أعطوا مكاناً للغضب. لأنه مكتوب لي النعمة أنا أجازي يقول الرب. " إن الله يعلم بكل شيء، وهو لا بد أن يرى الظلم والإهانة التي قد يتعرض لها أولاده المؤمنون. لهذا من الطبيعي أن يتحرك لنجدتهم وينتقم لهم. فإن كان الله سينتقم للمؤمنين في المسيح، فلا داعي لهم أن ينتقموا لأنفسهم، ويردوا على الشر بالشر. هذا هو موقف كلمة الله الحية كما جاءت في الكتاب المقدس، بالنسبة لموضوع الانتقام. وهذا هو ما تعلم به المسيحية في هذا المجال. فهل هناك أسمى وأعمق من هذا الموقف، ومن هذه التعاليم التي تؤكد على المحبة العملية؟

صديقي المستمع، ماذا يكون موقفك عندما تتعرض إلى الإساءة؟ هل تلجأ إلى الانتقام وترد الصاع صاعين؟ أم أنك تترك الأمر لله لكي يقوم بتحصيل حَقِّك، وفضح الناس الذين أساءوا إليك؟ وهل بإمكانك حقاً تسليم الأمر لله؟ بصراحة نجيب: أن لا أحد منا يقدر أن يسلم هكذا أمر الله؟ فكلنا كما عرفنا من نتائج الباحثين نريد الانتقام، ونسعى لكي نقابل الإساءة بإساءة أكبر منها. فكيف يصبح بإمكاننا أن نسلم الأمر بين يدي الله؟

لن نستطيع ذلك إلا إذا أخذنا الطبيعة الروحية الجديدة، التي تقدر فعلا أن تتمع وتلجم الطبيعة البشرية الساقطة. وهذا متوفر لدينا عن طريق الإيمان بشخص المخلص المسيح. إن المخلص المسيح هو الوحيد القادر على تحريرنا من عبودية الخطية، وأن يخلقنا خليفة روحية جديدة. أي يجعل فينا هذه الطبيعة الروحية التي تقدر على مواجهة طبيعتنا البشرية القديمة، وتقدر بالتالي على تسليم الأمر بالكلية لله.

مستمعي الكريم، هل تراك تأتي إلى الله اليوم تائبا عن ذنوبك؟ ومؤمنا بالمخلص المسيح؟ إن الله يدعوك لكي تأتي إليه مهما كانت ذنوبك كبيرة وكثيرة. فهل تأتي إليه الآن وقبل فوات الأوان.